مجلة المرافئ

العدد : ٢٤٤ الموافق في ربيع الآخر ١٤٢٤ هجري ٢٠٠٣/٦ ميلادي

عنوان المقال : أديان مختلفة .. قيم مشتركة	الكاتب :أسرة التحرير

في إطار الندوات الهادفة التي ينظمها المركز الاجتماعي الثقافي - مسجد الدعوة في باريس ، والتي تتميز بالنوعية والتنوع في المواضيع ، كانت الندوة التي عقدت يوم السبت ٣ أيار/مايو ٢٠٠٣م متميزة بموضوعها الحساس :

أديان متنوعة .. قيم مشتركة

افتتح الندوة عميد مسجد الدعوة الدكتور العربي كشاط فأشار إلى أن القيم المشتركة بين الأديان كانت على الدوام عامل تعاون وتكامل وأمن واستقرار في المجتمعات المتعددة الأديان والثقافات ، وأن الخصوصية الدينية لم تكن سبب الاضطرابات والحروب التي وقعت بين أتباع الأديان وتركت بصماتها في الذاكرة التاريخية . وذكر أن اختيارنا لعنوان هذه الندوة يؤكد على حاجتنا إلى استصحاب المعاني السابقة في واقعنا المعاصر الذي تتكون فيه ثقافة التعدد الثقافي والديني على المستوى الوطني والمستوى العالمي ، فعالمنا في أمس الحاجة إلى تنشيط القيم المشتركة ، لأنها العاصم من الانزلاق في بؤر الصراعات والكراهية والمادية . وتمنى أن يوفق المحاضرون إلى تسليط الأضواء على جوانب هذا الموضوع الحيوي .

وكان الأستاذ **الدكتور جان بوبرو** - مدير أبحاث بالمركز الوطني للبحث العلمي ، ورئيس المدرسة التطبيقية للدراسات العليا بجامعة السوربون - أول المتحدثين وكانت محاضرته بعنوان : « **كيف يمكن للخصوصية الدينية أن تساهم في بلورة القيم المشتركة** » ، وقد ركّز حديثه على التفريق بين العلمانية المتشددة التي تنفر من الدين وتريد تكييف الأديان لمصلحتها ، وبين العلمانية المنفتحة التي ترى أن الدين ليس خصماً لها ، ويجب أن يحافظ على نقائه وتميزه ، وأن يتم التفاوض مع المتدينين بقصد التوصل إلى صيغة تعامل جماعية تحترم خصوصيات الأديان من غير إضرار بالنظام العام ونسيج المجتمع . ونظراً لكون المطروح اليوم " العلاقة بين الإسلام والعلمانية " فإن الدكتور بوبرو يرى أنه يجب أن ينظر إلى الإسلام باعتباره مكوّناً جديداً في فرنسا ، ويجب أن يعطى دوره المناسب من غير إكراه أو تدخل لتحويره ، فإذا أصرت بعض الدوائر على تطويع الإسلام فإن مشكلة ستقع ، وهذا ليس في صالح المجتمع .

وتحدث **الأب ميشيل لولونغ** - قس طائفة الآباء البيض ، وعضو مؤسس لجمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في باريس - وكان عنوان محاضرته : « **الإرث الأخلاقي والروحي للديانات الإبراهيمية** » . بدأ القس لولونغ كلامه بالتأكيد على الأمور الآتية :

١- إن معظم ما ينشر اليوم عن الإسلام صادر عن صحفيين ، وهؤلاء بضاعتهم مزجاة وسطحيون ، وكثيراً ما يسيئون .

٢- الأديان الثلاثة لها ما يميزها وفيها قيم مشتركة ، ولا بد من المحافظة على ما يميز كل دين . ويجب الإقرار بهذه الحقيقة .

٣- ومع احترامي للبشر كافة فإنني أعتبر الذين يؤمنون بدين يمتازون عن غيرهم بأمور خاصة ، وهذا لا يقدح في احترام الإنسان سواء كان مؤمناً بـاللّه أم ملحداً ، فالكرامة الإنسانية قيمة يجب الاعتراف بها واحترامها . ثم أشار إلى نقاط مشتركة بين الأديان ، نذكر منها :

- غاية الوجود البشري : بذر الخير ونشر العدالة .
- الموت ليس نهاية الحياة ، فهناك حياة أخرى بعد الموت ، وهذا مهم لأنه يهبنا الإيمان بعدالة اللّه المطلقة ، ويدفعنا إلى العدل بين الناس .
- القيم الأخلاقية مساحة مشتركة .

وخلص من عرضه إلى المعاني الآتي ذكرها :

- إن العلاقة بين أتباع الأديان ضعيفة على الرغم من وجود قيم مشتركة كثيرة ، وهذا يبعث على القلق .
- يجب أن يهتم أتباع الأديان بالقضايا التي تؤثر على إنسانية الإنسان على امتداد الأرض .
- يكثر الحديث الآن عن العدالة المفقودة في فلسطين والعراق ، ولكن المسؤولين الدينيين لم يتوصلوا إلى كلمة واحدة ، لأن آلية التواصل غير متوفرة .
- ينبغي ألا ننسى أنه يوجد أناس من الملحدين أو غير المؤمنين بدين عندهم قيم واستعداد للعمل المشترك في سبيل العدالة .. ويجب أن نتعاون معهم .

وجاء دور الأستاذ **الدكتور عبد الحميد هربر** - مسلم فرنسي ، أستاذ علم الاجتماع في مدرسة الهندسة المعمارية بسانت اتيان - فتحدث عن موضوع : « **من وقائع التعاون بين الأديان في مضمار القيم المشتركة** » فذكر بأنه سيحاول إعطاء فكرة عن التعاون بين الأديان من زاوية كونه عالم اجتماع مسلماً ، ويأمل أن يكون محايداً فيما يقول على الرغم من أن البعض يرى أن الانتماء يخدش في الحياد! . ثم ذكر أن مجال النهوض بالإنسان ينبغي أن يكون محل التعاون ، ومثّل لذلك بظاهرة ملل الأطفال أثناء الدراسة ، وهذه الظاهرة المقلقة تفرض تعاوناً من أجل إطلاق طاقة الأطفال بعد تنميتها ، ثم قال : « وهذه حالة يمكن تعميمها على مستويات التربية في المجتمع » مؤكداً أن القيم المشتركة للأديان كفيلة بمعالجة معظم الظواهر المرضية ، وهذا يستدعي دعم فكرة التدين في فرنسا . وذكر إحصائية حول المعتقدات عند الفرنسيين وفي فرنسا ، ومنها أن المسلمين اليوم يشكلون ٦% من السكان ، وأن هذه النسبة لا تدفع إلى الخوف من تحويل فرنسا إلى بلد مسلم . واقترح الدكتور عبد الحميد أن يتم تعليم الأديان في ظل العلمانية من غير تحريف ، وذلك بإدخال التربية الدينية في صلب المواد التعليمية (التاريخ ، اللغة ، ..) وهذا يتطلب تأهيل المعلمين للقيام بهذا الواجب الأساسي .

ثم توجه إلى المسلمين بالخطاب :

● أدعو المسلمين والمسلمات إلى تسجيل ملاحظاتهم حول تجاربهم المدرسية ، وكيف كانوا يعانون من المعلمين والموجهين ، لأن معظم الإساءات التي وقعت كانت بسبب الجهل ولا علاقة لها - غالباً - بسوء المعلم .

● عرف تاريخ فرنسا معارك وصدامات بين الأديان والتيارات المختلفة ، وإن فرض لباس موحد في المدارس كانت وراءه فكرة محاربة المظاهر الدينية ، ونحن مدعوون إلى نسيان الماضي والتطلع إلى المستقبل ، فالمجتمع الفرنسي حصلت فيه تغييرات جعلته يتقبل إلى حد كبير التعددية الدينية والعرقية والثقافية ، ويجب أن نساهم في ترسيخ وتنمية أخلاقيات التعاون .

● لقد رفعت الأمم المتحدة شعار " تعددنا الخلاق " وهذا ما يجب أن نخاطب به فرنسا لكي ترسخ تعددية خلاقة .. وهذا التعدد الإيجابي يقرره الإسلام « فالوحدة أفق نريد أن نصل إليه ، والتعدد يجعلنا ننشد الوحدة في إطار الاحترام للآخر » .

وتكلم **الدكتور صلاح الدين النكدلي** - مدير المركز الإسلامي في آخن - مسجد بلال - عن « **الأخلاق الإسلامية والقيم الإنسانية** » فذكر مكانة الأخلاق في الإسلام ، وعرف الأخلاق بأنها القيم المستقرة داخل النفس والتي تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر ، وأن الأخلاق نوعان ؛ محمودة ومذمومة ، وهما متجاوران في النفس البشرية ومحل اختبار للإنسان ، وأن الأخلاق بنوعيها يمكن أن تكون ؛ وهبية وكسبية ، ومجاهدة النفس هي التي تقوي الأخلاق الحميدة الضعيفة ، أو تكبح جماح الأخلاق المذمومة القوية ، وأن الأخلاق إنسانية مشتركة بين الناس وإسلامية لها علاقة بالعقيدة ، وأن الأخلاق الإنسانية هي أساس التعامل بين البشر على اختلاف عقائدهم ، فمن كانت أخلاقه في التعامل طيبة يوثق بها هو الذي يكون أهلاً للثقة : { **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا** ... } [آل عمران : ٧٥] .

وأكد د. النكدلي على أن الإسلام يعترف بوجود أخلاق حميدة عند غير المسلمين ، وذكر أدلة من القرآن والسنة وكلام السابقين ، ومثّل لجواز التعامل مع غير المسلم في مجال الحق والخير من السنة النبوية : « استئجار عبد اللّه بن أريقط ليكون دليلاً في الهجرة ، وما قاله ﷺ في حلف الفضول .. » ووصل إلى عصرنا هذا فذكر أموراً نوجزها بالآتي :

- إن هناك مجموعة واسعة من القيم الإنسانية الإيجابية التي يقرها الإسلام قد أصبحت محل اتفاق بين البشر ، ودخلت مواثيق المؤسسات الدولية والحكومات ، وهذا مهم جداً في الإصلاح . ولكن تحقيق القيم النبيلة في واقع الحياة يحتاج إلى تضافر الجهود بشكل مستمر ويقظ ، وعلينا أن نتعاون على نشرها بالعمل .
- وإذا اعترى العلاقات البشرية أزمات تزلزل القيم ، فإن على المصلحين أن يهبوا لإنقاذ الموقف ، وأن يتنادوا إلى تعاون مثمر في المجالات المشتركة .
- وتبقى أزمة البشرية اليوم - التي تعترف بالقيم الإيجابية وترفض السلبية منها - محصورة في أمرين :

① ضعف الأخلاق الجماعية داخل النفس بالشكل المناسب والكافي لجمع الجهود الخيرة .

② الافتقار إلى الصور العملية التي تجسد التعاون بين البشر على الخير وترسخه .

وكان الأستاذ **الدكتور باتريس رولاند** - أستاذ القانون العام في جامعة باريس ١٢ - بارعاً في تناول موضوع شائك هو : « **لائكيّة الدولة : قيمة مشتركة لديانات متعددة ؟** » ، وبعد أن طرح السؤال : هل للعلمانية قيمة مشتركة بين جميع الأديان ؟ بيَّن أن معنى العلمانية ليس محل اتفاق بين العلمانيين ، ثم ذهب إلى التفريق بين " **علمانية الدولة** " و " **العلمانية الفلسفية** " و " **علمانية المجتمع** " :

✧ **فالعلمانية الفلسفية** لم يكن من أهدافها محاربة آباء الكنيسة ، بل تهدف إلى تحريرهم من السلطة السياسية في ممارساتهم الدينية ، على ألا يتدخلوا في الشأن السياسي باسم الدين .

✧ أما **علمانية الدولة** فتستند إلى قانون عام ١٩٠٥م الذي تحدث عن " حرية الاعتقاد " وهذا النص أوسع من حرية الدين ، ويعني : حياد الدولة ؛ فلا تصنف الناس حسب مبادئهم الدينية . وهذا المبدأ يمكن الرجوع إليه ومحاكمة من يخالفه ، لأنه يعني : التسامح والتعددية وحرية الاعتقاد ، وهذا يشمل المسلمين أيضاً ، علماً بأنه لم يكن للمسلمين وجود ظاهر يوم سُنَّ هذا القانون .

واعترف د. باتريس أن وضع الأديان في دول أوروبية أفضل حالاً من فرنسا ، ويُنظر إلى فرنسا أنها متشددة في المفهوم العلماني ، وهذا الموقف الأوروبي يخيف بعض العلمانيين الفرنسيين الذين ينتصرون للتطبيق الفرنسي ، ويخشون من تأثير توحيد القوانين الأوروبية .

✧ وأما **علمانية المجتمع** فتعني إلغاء دور الدين في المجتمع ، وهذا مرفوض .

ويخلص د. باتريس إلى القول : نعم لعلمانية الدولة ولا لعلمانية المجتمع . ثم أشار إلى أن " علمانية الدولة " لا يُلتزم بها بشكل دائم ، وضرب مثلاً بتصرفات وزير الداخلية الفرنسي وتدخله في موضوع ترتيب أمور المسلمين واختيار ممثليهم، فهذا قد يكون تدخلاً من الدولة من ناحية ، وقد يكون دعوة للمسلمين لكي ينظموا شؤونهم التي ما تزال غير مرتبة .

وختم د. باتريس محاضرته بالتأكيد على أن علمانية الدولة ينبغي أن تبقى الإطار الذي يسع جميع الأديان . وأن تسمح للأديان بممارسة نشاطها الاجتماعي الذي يعترف لها به المجتمع لا الدولة ، ويطالبها بنشاطات روحية وفكرية .

ثم قال : لقد تطور وضع المسلمين في فرنسا ، فهم اليوم يطالبون بحقوق ، وعليهم أن يفقهوا صيغة المجتمع الفرنسي ودستوره وقوانينه ، وأن يتحركوا في إطار المجتمع ، فإن فعلوا ذلك فإن

حقوقهم ستتبلور يوماً بعد يوم .

وجاءت كلمة الختام والتعليق ، فتحدث الدكتور العربي كشاط عن الموضوع مبرزاً المعاني الآتي ذكرها :

❖ إن حديثنا عن " القيم " ليس حديثاً تجريدياً ، فالكلام عن القيم يجرنا إلى الحديث عن " قيمة الإنسان " وهذه القيمة يستمدها من إيمانه الفطري بالخالق ﷻ الذي بيَّن للناس الغاية من الوجود الإنساني ، فالقيم ليست مشتقة من البشر وتجاربهم ، بل هي عطاء من رب السماء والأرض .

❖ وهذه القيم إنما يحققها في الواقع تفاعل الطاقات الأساسية التي أودعها اللَّه عزَّ وجلَّ في الإنسان : طاقة التفكير ـ طاقة العقل ـ طاقة المحبة التي ثمرة من ثمار حب اللَّه تعالى .

❖ وإن المحبة حين تكون متمكنة في القلوب فسوف تدفعنا إلى :

١ـ إنعاش النسبيات الإنسانية وتحديد علاقتها بالكليات .

٢ـ تحقيق التصالح بين تنوعاتنا الثقافية .

❖ وعلينا أن نقوم بأنسنة قيمنا المشتركة عن طريق ربطها بقواسمنا المشتركة :

١ـ **الاشتراك في المنشأ** .

٢ـ **الاشتراك في النهوض بتكاليف الخلافة** ، وذلك بصياغة الوجود الإنساني صياغة ربانية تحقق السمو الروحي ، وترسيخ العدالة الاجتماعية ، وتحقيق الأمن والسلام .

٣ـ **الاشتراك في وحدة المصير** ؛ المصير الدنيوي والأخروي حيث سيسأل كل واحد عما قدمت يداه .

وختم الدكتور العربي كشاط كلامه بقوله : « **وأخيراً .. فإن المتدينين الحقيقيين هم أولئك الذين يتخذون من الدين معراجاً يرتفعون به إلى قمة الإنسانية المتراحمة ، والتي تتعانق قيمها المشتركة تعانق السواقي لتغذي هذا المحيط الهادئ العميق الجميل النافع .. إنه محيط الإنسانية التي تجعل من الأرض ميداناً تستنبت في رحابه قيم الحق والخير والجمال** » .